

المحاضرة الثامنة :

دراسة قصيدة الجبار للشابى

ملحوظة :

للحفظ الأبيات التي تحتها خط من القصيدة

<u>سَاعِيشُ رَغَمَ الدَّاءِ والأَعْدَاءِ</u>	<u>كَالنَّيْسِرِ فَوْقَ القِمَّةِ الشَّمَاءِ</u>
أَرْنُو إِلَى الشَّمْسِ المُضِيئَةِ هَازِنًا	بِالسُّحْبِ، والأَمطَارِ، والأَنْوَاءِ
لَا أَرْمُقُ الظِّلَّ الكَثِيبَ..، وَلَا أَرَى	مَا فِي قَرَارِ الهَوَّةِ السُّودَاءِ
وَأَسِيرُ فِي دُنْيَا المِشَاعِرِ، حَالِمًا،	غَرْدًا- وَتِلْكَ سَعَادَةُ الشُّعْرَاءِ
أَصْغِي لِموسيقى الحَيَاةِ، وَوَحْيِهَا	وَأَذِيبُ رُوحَ الكَوْنِ فِي إنْشَائِي
<u>وَأصِيخُ لِلصَّوْتِ الإِلَهِيِّ، الَّذِي</u>	<u>يُحْيِي بقلبي مَيِّتَ الأَصْدَاءِ</u>
<u>لَا يَطْفِئُ اللَّهَبَ المَوْجَّجَ فِي دَمِي</u>	<u>مَوْجُ الأَسَى، وَعَوَاصِفُ الأَرْزَاءِ</u>
فَاهِدَمُ فُؤَادِي مَا اسْتَطَعْتُ، فَإِنَّهُ	سَيَكُونُ مِثْلَ الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ
لَا يَعْرِفُ الشُّكُوى الدَّالِيَةَ وَالبُكَاءِ،	وَضَرَاةَ الأَطْفَالِ وَالمُضْغَعَاءِ
وَيَعِيشُ جَبَّارًا، يَحْدِيقُ دَائِمًا	بِالفَجْرِ..، بِالفَجْرِ الجَمِيلِ، النَّائِي
وَاملاً طَرِيقِي بِالمَخَافِ، وَالدَّجَى،	وَرُوبَاعِ الأَشْوَاكِ، وَالمُحْصَبَاءِ
وَانْتَشُرَ عَلَيْهِ الرُّعْبُ، وَانْتَشُرَ فَوْقَهُ	رُجْمُ الرَّدَى، وَصَوَاعِقُ البِاسَاءِ
سَأظَلُّ أَمْشِي رَغَمَ ذَلِكَ، عَازِفًا	قِيثَارَتِي، مَتْرِنًا بِغِنَائِي
أَمْشِي بِرُوحِ حَالِمٍ، مَتَوَهِّجٍ	فِي ظِلْمَةِ الأَلَامِ وَالأَدْوَاءِ
النُّورِ فِي قَلْبِي وَبَيْنَ جِوَانِحِي	فَعَلَامَ أَخْشَى السَّيْرِ فِي الظُّلْمَاءِ
إِنِّي أَنَا النَّائِي الَّذِي لَا تَنْتَهِي	أَنْغَامُهُ، مَا دَامَ فِي الأَحْيَاءِ
وَأَنَا الخِضْمُ الرُّحْبُ، لَيْسَ تَزِيدُهُ	إِلَّا حَيَاةً سَطْوَةً الأَنْوَاءِ
أَمَّا إِذَا خَمَدَتْ حَيَاتِي، وَانْقَضَى	عُمْرِي، وَأَخْرَسَتِ المَنِيَّةُ نَائِي
وَخَبَا لِهَيْبِ الكَوْنِ فِي قَلْبِي الَّذِي	قَدْ عَاشَ مِثْلَ الشُّعْلَةِ الحُمْرَاءِ
فَأَنَا السَّعِيدُ بِأَنْنِي مُتَحَوِّلٌ	عَنْ عَالِمِ الأَثَامِ، وَالبِغْضَاءِ
لأَذُوبَ فِي فَجْرِ الجَمَالِ السَّرْمَدِيِّ	وَأَرْتَوِي مِنْ مَنَهْلِ الأَضْوَاءِ "
وَأَقُولُ لِلجَمْعِ الذِينَ تَجَسَّمُوا	هَدْمِي وَوَدُّوا لَوْ يَخْرُ بِنَائِي
وَرَأَوْا عَلَى الأَشْوَاكِ ظِلِّي هَامِدًا	فَتَخَيَّلُوا أَنِّي قَضَيْتُ دَمَائِي
وَغَدُوا يَشْتَبُونَ اللَّهِيْبَ بِكَلِّ مَا	وَجَدُوا..، لِيَشْتَبُوا فَوْقَهُ أَشْئَائِي
وَمَضُوءًا يَمْدُونُ الخَوَانَ، لِيَأْكُلُوا	لِحْمِي، وَيَرْتَشِفُوا عَلَيْهِ دِمَائِي
إِنِّي أَقُولُ - لَهُمْ - وَوَجْهِي مُشْرِقٌ	وَعلى شِفَاهِي بِسْمَةِ اسْتِهْزَاءِ
إِنَّ المَعَاوِلَ لَا تَهْدُ مَنَاكِبِي	وَالنَّارَ لَا تَأْتِي عَلَى أَعْضَائِي
فَارْمُوا إِلَى النَّارِ الحِشَائِشَ..، وَالعَبَا	يَا مَعْشَرَ الأَطْفَالِ تَحْتَ سَمَائِي

بالهول قَلْبُ القَبَّةِ الزَّرْقَاءِ	وإذا تَمَرَّدتِ العَوَاصِفُ، وانتشى
فوقَ الزَّوابعِ، في الفِضاءِ النَّائِي	ورأيتُموني طائراً، مترنِّماً
حَوَّفَ الرِّيحَ الهُوجَ والأنواءِ	فارموا على ظليّ الحجارَةِ، واختفوا
عَثَّ الحَدِيثِ، وميَّتَ الآراءِ	وهُنَاكَ، في أَمْنِ النُّبُوتِ، تَطَارَحُوا
وتجاهرُوا - ما شئتُم - بعدائي	وترنَّموا - ما شئتُم - بِسَنَائِمِي
والشَّمْسُ والشَّفَقُ الجميلُ إِزَائِي	أما أنا فأجيبكم من فوقكم
لم يحتفلُ بفداحةِ الأعباءِ"	مَنْ جاشَ بِالوَحْيِ المقدَّسِ قلبُه

الشابى :

ولد أبو القاسم الشابى سنة ١٩٠٩ في بلدة تورز في تونس،

إبان الاحتلال الفرنسي .

تتقّف ثقافة عربية إسلامية ، جمع بين التراث والمعاصرة ، إضافة إلى الآداب الغربية .

كتب في مجلة النهضة .

دعا إلى التحرر من الاستعمار الفرنسي ، والنهوض بالأمة العربية ، والتجديد في الأدب والحياة .

أصيب بداء عضال ، لكن عطاءه لم يتوقف .

توفي سنة ١٩٤٣ .

ترك ديوان شعر وكتابا (الخيال الشعري عند العربي) ومقالات وقصص ورسائل في موضوعات مختلفة .

كانت حياة الشاعر التونسي ومضة لمعت في الآفاق الحالكة، وقد حفلت على قصرها بألوان من التجارب النفسية والعاطفية أغنتها، وحولتها إلى شهاب يسطع دائما ومنهلا للذاتية في الرومانسية !!

هو وجداني النزعة بحكم سنه وحكم شاعريته، وحكم عصره المضطرب. كان لا يكتفي بأحاسيسه إنما يحاول دائما أن يواجهها نحو التأمل وأن يصرفها عن المرارة الذاتية، أن يميل بها نحو الحياة. لذا فإن الشابى عاش تجربة قاسية مريرة لكنها مفيدة لأنها شحنته وأغنته فتفجرت عنده وجعلها وقودا لإبداعه الرومانسي.

ينتمي النص إلى المدرسة الرومانسية

- تميزت الرومانسية ببروز العنصر الذاتي ولاسيما في الشعر الغنائي العاطفي.

- وإن الذاتية تعني أن ينقل الشاعر أفكاره وعواطفه وخياله المستوحى من تجربته الذاتية في الحياة بما فيها من آمال وآلام وتفاؤل وتشاؤم.

- إن تجربة الشاعر هي نتاج تمازج وتفاعل عدة عناصر أهمها الأفكار والعواطف. وقد تكون تجربة فعلية أو تجربة غيرية لكن لاحظها الشاعر وتعرفها فأثرت به، فيعيد تحويلها ويخبزها بحرارة عواطفه فتشع صورا وأفكارا.

لما كانت الرومانسية تعزز أصول النزعة الفردية في العمل، كان الإحساس بالألم مظهراً بارزاً فيها ، وقد سلك ذلك طريقتين في القصيدة هما :

طريق التشاؤم : حيث يضعف الشاعر أمام الألم وبيتعد عن المواجهة ، ويلفه اليأس والقنوط ، فلا يرى الخلاص.

طريق التفاؤل : يقف متحدياً يملؤه الشعور بالقوة والقدرة على تجاوز الأزمات والتفاؤل بالانتصار عليها.

المعنى الإجمالي للنص :

- الظروف التي تحيط بالشاعر ، وأثرها في الشاعر وشعره.
- إرادة الحياة .

- توظيف التراث في القصيدة .

- توظيف الأسطورة في القصيدة .

دلالة العنوان

يتكون العنوان من كلمتين هما : نشيد + الجبار وهاتان الكلمتان تدلان من خلال علاقتهما الإسنادية على صوت ينبعث من إنسان متمرد يردد نشيد التحدي : تحدي عامل الموت ، والتمسك بعامل الحياة .

وحدات النص

ينقسم هذا النص إلى ثلاث وحدات رئيسية :

١ . موقف الشاعر من الحياة .

٢ . تفاؤل الشاعر من الحياة .

٣ . موقف الشاعر من الموت .

تحليل النص

تطالعنا – ونحن نقرأ هذا النص قراءة متأنية ثنائية الحاضر / المستقبل . فالحاضر الذي يعيشه الشاعر تضافرت فيه مجموعة من العوامل عملت على تفاقم مأساته الذاتية والوطنية ، مما جعله يجهر من بداية القصيدة برفضه لهذا الحاضر التعيس وإصراره على التمسك بالمستقبل الجميل والتلويح بتحدي الموت، معلناً عن كيفية مواجهته للصعاب التي يضعها القدر في طريقه كيما كانت صورها وأشكالها.
و يمكننا أن نرصد ثنائية الحاضر و المستقبل من خلال الألفاظ التي استقاها الشاعر لهذا الحقل الدلالي.

الحاضر المستقبل

- وجود الداء والأعداء

- عوائق السحب والأمطار والأنواء

- الطريق المحفوف بالمخاوف

- ظلمة الآلام والأدواء

- المخاوف والدجى وزوابع الأشواق

- رجم الردى وصواعق البأساء - سأعيش رغم الداء والأعداء.
- أرنو إلى الشمس المضيئة.
- لا أرمق الظل الكئيب.
- لا أرى ما في قرار الهوة السوداء.
- أسير في دنيا المشاعر.
- أصغي لموسيقى الحياة.
- أذيب روح الكون في إنشائي.
- أصيخ للصوت الإلهي .
- يحدق دائما بالفجر.
- لا يعرف الشكوى الذليلة.

من خلال هذه المعطيات يتبين لنا بأن شاعرنا يصر على خوض تجربة حياتية جديدة يتجاوز فيها الحاضر بمظاهره التعيسة وعوائقه الشاقة (السحب / الأمطار / الأنواء لزوابع / العواصف) لاستشراف الغد الباسم والمستقبل المنشود ، غير عابئ بهذه المثبطات التي تقف حجر عثرة في طريقه . كل ما يهيمه هو أن يطلق العنان لأحلامه تحلق في دنيا المشاعر مغردا طربا مصغيا لموسيقى الحياة، وهذه هي قمة النشوة التي ينشدها في هذه الحياة .

وما دام قد أزمع على ركوب المستقبل فهو يعلن عن تحدي البلاء ، طالما أن الشكوى الذليلة لا تصدر عنه ، وضراعة الأطفال والضعفاء ليست من شيمه ، وطالما قرر أن يعيش جبارا معلقا آماله على الغد الباسم.

وهكذا يتبين لنا بأن الحياة في نظر الشاعر تجدد واستمرار وسمود إلى ذرة المجد بدل الاكتفاء بعيش الحفر.

ومن لا يحب صعود الجبال يعيش أبد الدهر بين الحفر فإذا فقد الإنسان هذه الأشواق التي يستشعرها تجاه الحياة ، فقد فقد الطموح وأصبح في عداد الموتى ، وأضحى الموت بذلك سعادة وخلصا من مآسي الحياة وجسراً للتحول من عالم الخطايا والذنوب (عالم الشاعر السفلي) إلى عالم الجمال والأضواء (عالم الشاعر العلوي) .

انتهت المحاضرة